العمل الايجابي للتعايش السلمي
في عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات

أ.د. أماني برهان الدين لوبيس

(جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا- إندونيسيا)

amanylubis@gmail.com

تمهيد

إن الحياة لا يمكن أن تسير بدون دين. ولا حياة لأمة بلا دين. إذ لا يمكن العيش – في حقيقة الحال– بالكفر المطلق. أشار الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي بأن إحدى المعجزات المعنوية للقرآن الحكيم أنه كشف هذه المعجزات لطلاب رسائل النور وهم في حقيقة الأمر جنود القرآن ليكونوا سداً أمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن. وحقاً أن الرسائل أدت دورها. إن هذا الدرس القرآني هو الذي حفظنا من هذا التيار الجارف الذي استولى على العالم وأقام سداً أمام الهجوم الإرهابي ضد الإسلام والمسلمين. وهكذا وُجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم[1]. وقد كان دور القيام بالخدمة الإيمانية كبير ومهم، حيث منحهم الحافز بالتجمل بالصبر والتحلي بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة في سبيل الأمن والاستقرار الداخلي للأمة الإسلامية.

في العصر الحديث تعرضت معظم دول العالم لمجموعة من التحديات المرتبطة بالحياة المعاصرة ومتغيراتها السريعة، وإزاء مواجهة هذه التحديات كان على المسلمين أن يهتموا بالوطن والأمة وإعطائهم الحقوق المتساوية رغم تعدد الأديان والثقافات وتسليح المجتمع بخصائص ومهارات فائقة، تعين الشعوب في مواجهة هذه التحديات والتعايش الإيجابي معها. من مقومات النهضة، لا سبيل لتكوين الإنسان المتحضر إلا بالتربية الجيدة من قبل الأهالي والحكومة والتعليم المتميز في سبيل الرقي الروحي والثقافي والاقتصادي والسياسي.

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٧٢.

وهو ما انتبهت إليه إندونيسيا، حيث أعيش بها بفضل الله تعالى، أن شعبها أعطى الاهتمام بالإنسانية والعمل الإيجابي، وأصبح ضرورةً ملحةً في ظل التقدم العلمي وأجواء تتسم بالديمقراطية والتطور التكنولوجي والتغيير الاجتماعي والحضاري الذي يشهده عالمنا المعاصِر.

وفي هذه المناسبة تقدمت الباحثة لمناقشة موضوع العمل الايجابي للتعايش السلمي في عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات وإعطاء حل للمشاكل في التعايش في العالم أجمع من منظور كليات رسائل النور. لقد انتشرت كتب وأفكار الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في جميع أنحاء العالم بفضل مريديه والمؤسسات النورسية. وليس من المبالغة في القول إن تعاليم الرسائل أصبحت وسيلة لإنقاذ الإنسانية من الارهاب ووسيلة للتآخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام و هما العرب والترك وبين الشعوب المختلفة في أنحاء العالم بفضل القيم النورسية التي ينشرها طلاب النور والمؤسسات التابعة لها. إذن العمل الايجابي لا بد أن يكون من اهتمام المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال التعايش السلمي وحفظ السلام بين معتنقي الأديان المختلفة، حتى تقوى الثقة المتبادلة بين المنظمات الرسمية والأهلية دوليا وإقليميا، وفئات من المجتمع المدني التي تعنى بشؤون الحوار الإسلامي مع الآخر.

تضم الورقة ثلاثة موضوعات، أولا- ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي، وثانيا تحديات عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات، وثالثا جهود العمل الايجابي في التعايش السلمي.

أولا- ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي

تسعى الورقة إلى إظهار دور العمل الايجابي من رسائل النور وكبداية يحسن كشف بعض الجوانب الفلسفية. كما قال شيخنا في سيرته الذاتية "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الالهي دون التدخل بماهو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"[1]. إن شرح هذه المقولة النيرة هو أن العمل الإيجابي لا بد أن يكون

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩.

http://www.iikv.org/ar/kulliyat/kulliyat.php?bn=11&pn=469

بوجود الإيمان بالله حتى يدخل في نطاق الرضى الإلهي، كما أن العمل الإيجابي يظهر بعد التفكير والتكليف بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر لله ووجود الحافز لفلسفة العمل وعدم التدخل بالوظيفة الإلهية.

ويمكن رسم الفكرة بوضع هيكلة تضم الإيمان والعلم والعمل. ويتضح بعد ذلك أن العمل الإيجابي البناء يوصل إلى السعي للعمل الايجابي وتجنب السعي للعمل السلبي. لقد كان الشيخ سعيد النورسي على وعي تام بوجود أصحاب الديانات الأخرى في المجتمع الإسلامي وأنه من العمل الإيجابي أن يكون هناك الصبر وقوة التحمل بدلا من العداء والعمل السلبي والانتقام والتخريب في التعامل مع الآخر. وأكد الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، "أنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط. ووفّقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور، فانني أسعى بالعمل الايجابي واتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم[1].

إن ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي تشكل فكرة التكامل والاندماج بين الدين والعلم والعمل وهذا هو الفكر الواقعي.

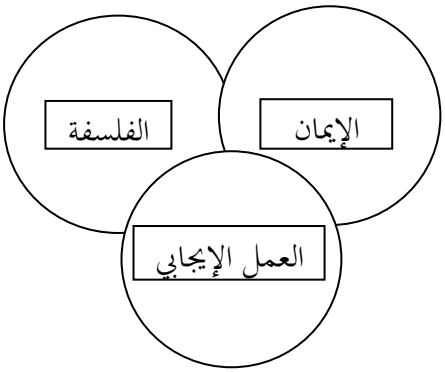

ومن هنا يمكن الاستخلاص بوجود علاقة وثيقة ومتداخلة بين الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي، حيث وجد العمل الإيجابي مع المقاطع المتداخلة الثلاثة وذلك لوجود علاقة قوية ما بين العمل الإيجابي في مجالات الحياتية المختلفة، مثل إزالة الفقر والعنصرية، الإرهاب والعنف، والتلوث البيئي وتغير المناخ، وتفاوت الدخل، الإفراط في الاستهلاك، والتهالك على حطام

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٧١.

الدنيا، وإخلال حقوق الإنسان، والحداثة وحل المشاكل في التعايش الديني. وكل هذه المحالات الحياتية لديها تعريفها بما يسهل الإنسان العاقل أن يجد الحلول.

دليل آخر على وجود الهيكلة الثلاثية هو أن رسائل النور خيبت آمال أولئك العنيدين في الغرب، مثلما أسكتت تماماً الفلاسفة الماديين والطبيعيين. ولا توجد حكومة في الدنيا، مهما كان شكلها، تمنع محصولاً مباركاً لوطنها ومنجماً عظيماً لقوتها المعنوية مثل هذه الرسائل، أو تحكم على ناشرها. إن الحرية التي يتمتع بها الرهبان في أوروبا تشير إلى أن أي قانون كان لا يتابع تاركي الدنيا والعاملين بقواهم الذاتية للآخرة والإيمان. الحاصل: اجزم أنه لا قانون في الدنيا يقول بمنع، أو يقدر أن يمنع، كتابة الخواطر العلمية بشأن الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية لرجل عجوز، محكوم عليه بالتغريب لمدة عشر سنوات، وممنوع عن الاختلاط بالناس والمراسلة. وأن عدم تعرض هذه الخواطر إلى الجرح والانتقاد من قبل أي عالم كان، يثبت أنها عين الحق ومحض الحقيقة[1].

إذن، لا يمكن فصل الحلقات الثلاث عن بعضها، الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي،

ثانيا- تحديات عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات

إن التحدث عن التحديات في العالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات بغرض التوكيد على أهمية فهم مشاكل العصر والمحاولة لإيجاد الحلول لها. وأكبر تحد هو ترسيخ قيم الروحانيات لدى المسلمين وإظهار الإيمان في حيز الوجود. قال الشيخ سعيد النورسي إن الإيمان وسيلة الفوز بالحياة الابدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي إذاً السعي لأجله[2]. التمسك بنور الله تعالى، وإبراز رسائل نيرة كثيرة للناس كافة هو العمل الجليل لا بد من تنفيذها بطرق شتى. إن رؤوس كثير من الرؤساء مخمورة، لا يقرؤون، وإذا قرأوا لا يفهمون، فيؤولونه إلى معنى خطأ، ويعترضون ويهاجمون. لذا، وللحيلولة دون الهجوم ينبغي عدم إظهار النور لهم لحين إفاقتهم واسترجاع رشدهم. وقد شرح النورسي من واقع حياته أنه غير ضروري الخوض في مجال السياسة، لأن السياسة توصل صاحبها إلى ترك السعي لحياة أبدية، وترك العمل لنور الإيمان المقدس، والدخول في ألاعيب السياسة الخطرة وغير الضرورية، في زمن

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب السادس عشر، ص ٧٨.

الشيخوخة إنما هو خلاف للعقل ومجانبة للحكمة لشخص مثلي لا صلة له مع أحد، ويعيش منفرداً، ومضطر الى التحري عن كفارات لذنوبه السابقة[1].

فمن الواضح أن النورسي أراد التوازن في الحياة الاجتماعية والسياسية، حيث يقوم الإنسان بخدمة الدين في سبيل تحقيق الأمن الروحي والمادي للحياة الإنسانية. ولكن اهتم النورسي بضرورة التعليم، سواء للبنات أو للبنين. بالإشارة إلى مجال التعليم، إن التربية الإسلامية السليمة في جميع مراحلها أسهمت بدور بالغ الأهمية في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة للإنسان، حيث اهتمت بتهيئة النشء للحياة والعمل الإيجابي، في عالم سريع التطور، وذلك يتطلب إقامة توازنٍ سليم بين التعليم الأكاديمي وتنمية المهارات العملية الحياتية، وربط مناهج التعليم بالواقع الوظيفي والحياتي، وتقليص الفجوة بين التعليم النظري والتطبيقي، وإعداد التلاميذ لمجالات حياتية مختلفة؛ وذلك بتركيز المقررات الدراسية الحالية حول تلك المجالات.

وأكد الشيخ النورسي أن ولاة الأمور إنما ينظرون إلى اليد لا إلى القلب. وهناك في كل قطر وفي كل مكان معارضون شديدون للحكومة لا يتدخلون في شؤون الإدارة والأمن. حتى أنه في عهد سيدنا عمر ﷺ لم يمُسّ النصارى بشئ مع أنهم كانوا ينكرون الإسلام وقوانين الشريعة. وعلى هذا واستناداً الى مبدأ حرية الفكر والوجدان، اذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادءكم، وينتقدونها على أساس علمي نقداً بناءً، أو إن صدرت منهم أعمال وتصرفات لا تتفق وتلك المبادئ، بما في ذلك إضمار العداء لأولى الأمر، فليس من حق القانون أن يحاسبهم على ذلك بشرط واحد وهو أن لايتدخلوا في الشؤؤن الإدارية، والاّ يخلّو بالأمن والنظام[2].

لقد كان الشيخ سعيد النورسي يحلم بوجود جمهورية متدينة تحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية. ولكنه قد شعر بخيبة الأمل لأنه عاش في رحاب جمهورية علمانية. وقد عرف العلمانية، فإنها بمعنى البقاء على الحياد، فكما لا تتعرض مثل هذه الحكومة للملحدين ولأهل السفاهة بحجة حرية الضمير فيجب ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى. وأنني الآن

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، الجزء الثالث من رسائل النور، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: منشورات سوزلر، ١٩٩٣)، ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع عشر، ص ٤٠٨.

لا أعلم الأوضاع السياسية والأحوال التي تعيش فيها حكومة الجمهورية لأنني قد اعتزلت الحياة الاجتماعية منذ خمس وعشرين سنة[1].

أشار الشيخ سعيد النورسي إلى أن الاسراف والسفاهة محل بوادر الاقتصاد والقناعة، واستُمرئتْ ميولُ الكسل والدعة وهجرت مراعى السعي والعمل. ولقد ألبست – هذه المدنية – البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب. واستناداً الى ما قامت به رسائل النور من إيضاح الدستور الذي يخاطب به القرآن الكريم في ندائه العلوي: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ...﴾ (الاعراف:٣١) وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩) فقد أشارت – تلك الرسائل – مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين – الى ان سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الاسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكدّ.. وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام[2].

من هنا يجب الحديث عن الإنسانية، تلك الكلمة التي تضم مختلف الأعراق والجنسيات في قالب دنيوي واحد. وقد برع الشيخ النورسي في الإصرار بأن الإنسانية ستتقبل الإسلام وستتحول إليه، وإن الإسلام سيحكم المستقبل بالقرآن[3]. وفي رأي السيدة شكران واحدة، شارحة رسائل النور بريطانية الأصل، رسائل النور تقدم أفضل نموذج للإسلام إلى الغرب، فقدمت بذلك أفضل خدمة للقرآن والإسلام. إن الإنسانية ستتقبل الدين الإسلامي لكونه دين البرهان والعقل، وبذلك سيحكم الإسلام المستقبل[4].

ثالثا- جهود العمل الايجابي في التعايش السلمي

إن الإخلاص والتكافل في رأي الشيخ سعيد النورسي يمكن إعادة فهمها في المنظور العصري بمصطلح التعايش السلمي، حيث أخذ في عين الاعتبار السعي للعمل الإيجابي وعدم الانقياد إلى العمل التخريبي. وفي مفهوم التعايش السلمي لا بد من وجود جهود مشتركة من قبل أصحاب الديانات المختلفة لإيجاد أرضيات مشتركة للعيش معا بإخلاص

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع عشر، ص ٤٢٦.
(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ملحق أميرداغ/٢، ص ٣٧٨.
(٣) انظر بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ص ٢٠ – ٢٢.
(٤) شكران واحدة، مؤلفات النورسي نموذج لتقديم الإسلام للغرب.

حتى يتحقق الأمن الداخلي بالنسبة للمسلمين بينهم البعض والأمن الخارجي أي بوجود العلاقة الطيبة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين ومعتنقي الأديان الأخرى. وفي هذا المفهوم يمكن استخلاص أفكار النورسي عن الحوار البناء بين المسلمين والمسيحيين.

وقال الشيخ سعيد النورسي:... إننا نقوم بالعمل الايجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر. وهناك مسألة أخرى في غاية الاهمية. وهي أن متطلبات المدنية الدنية (الدنية بالنسبة لأحكام القرآن الكريم) في يومنا هذا قد زيّدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين. فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتياد والتقليد. فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لإنهماكه بالأمور المعاشية والدنيوية ظناً منه إنها ضرورة[1].

وقد أكد النورسي في اللمعة العشرين عما يحدث في عصر التفكك والشك والإنقسام، بإنه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفيه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة اليه. وأضاف كذلك... "وإذا ما كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الاخلاص ويحبط عمله ويكون اثراً بعد عين"[2].

وقد أعطى النورسي بعض وصفات للعلاج من واقع القرآن الكريم والأحاديث النبوية في حالة عدم وجود الدافع للتعايش السلمي في تسعة أمور آتية:

١- العمل الإيجابي البنّاء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام – مهما كان نوعها – والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع

---

(١) سيرة ذاتية، ص ٤٧٠.

(٢) اللمعات، اللمعة العشرين، ص ٢٢٨.

القول: "أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦- ولاجل انقاذ الحق من صولة الباطل.

٧- ترك غرور النفس وحظوظها.

٨- وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.

٩- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفر بالإخلاص ويوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب.

وهناك إضافة شرح من قبل المؤلفين في هامش الصفحة، سواء في النسخة العربية أم المترجم إلى اللغة الإنجليزية، بأنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي[1]. وقد أيد الباحث الأمريكي طوماس مايكل في كتابه "أراء سعيد النورسي في العلاقة بين المسلم والمسيحي" بأن الشيخ سعيد النورسي فرق بين المسيحية الحقيقية والحضارة الغربية التي تتسم

(١) اللمعات، اللمعة العشرين، ص ٢٢١.

باللادينية والمادية، وفي اعتقاده المسلمون المخلصون والمسيحين الحقيقيين سوف يواجهون معا أعدائهم المشتركة ممن رافضوا الدين وتركوا عن القيم الإنسانية في المجتمع[١].

إن محور النجاة ومدارها الإخلاص، فالفوز به إذن أمر في غاية الأهمية، لأن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة. فالذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص هو تفكره في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ثم عدم تدخله في الشؤون الإلهية. لقد ورد في الحديث الشريف: "هلك الناس إلا العالمون وهلك العالمون إلا العاملون وهلك العاملون إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم"[٢].

ومقارنة بآراء الشيخ سعيد النورسي وتنفيذا لفكره النير الذي يتمشى مع ظروف الدول الإسلامية المختلفة، يمكن عرض مثال لأهمية الإيمان وتكريس العمل الإيجابي في إندونيسيا. تمتاز إندونيسيا بالتنوع وتعدد الثقافات، ولها خبرة طويلة في معالجة وتسوية الخلافات العرقية والدينية والمذهبية، إلى جانب وجود جهود مشهودة في التعايش السلمي وحوار الثقافات والحضارات. إن تنمية فكرة تعدد الثقافات في إندونيسيا متماشية مع الثقافات المحلية للشعب نفسه والتي تعترف بالتنوع الثقافي، مما يدفعهم للتفاعل والعطاء الثقافي المستمر. مع وجود تحديات للعولمة والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تبحث إندونيسيا عن أفكار مشابهة لتوحيد الشعب الإندونيسي ككيان واحد حتى يحترم الشعب التعددية الثقافية ومراعاة خصوصية كل مجتمع. ففكرة تعدد الثقافات وليدة هذا العصر التي تحترم تعددية وجهات النظر وتدعو إلى ترجمة القيم الدينية والعالمية مثل عدم التمييز والعدل والتسامح إلى حيز الوجود.

وهنا تتضح أهمية آراء الشيخ سعيد النورسي حيث انتشرت في إندونيسيا منذ أكثر من ٢٠ عاما، وخاصة في طريقة شرحه للآيات القرآنية في رسائل النور حيث يعتبر تفسيره للقرآن الحكيم تفسيرا موضوعياً. وقد تداول النقاش حول القرآن والإخلاص في إندونيسيا وطبقت أفكاره التي أصبحت دافعا لخلق حياة أفضل وآمن ومزدهر. قال فضيلة الشيخ:... "فبمقتضى

---

(١) Soz Thomas Michel S.J., Said Nursi's Views on Muslim-Christian Understanding (Istanbul: Basim Yanin, 2005), pp. 19-20.

(٢) اللمعات، ص ٢٠١.

الإخلاص التام لا بد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة[1].

إن الآيات في القرآن الكريم المسطور كالآيات في الكون المنظور، وتدل إحداهما على الأخرى وتحفّز الإنسان على البذل والعطاء في ظل قيم البر والإنماء، والمودة والصفاء باعتبار المجالين، مجال القرآن ومجال العمران هما للإنسان، يتزود من الأول قيم الهداية والرشاد ويسعى في الثاني لإشادة نماذج في الحضارة والثقافة والفنون والصناعات والعلوم والآداب.

وإذا كانت طبيعة هذه الأصول، حافزة على الفعل، دافعة إلى الإبداع داخل الدائرة الإنسانية المشتركة، حيث الخطاب القرآني خطاب للإنسان حيثما كان وحيث الكون مجال استخلاف هذا الإنسان، فإن التجلي الأول لهذا النموذج من البناء الحضاري الإسلامي في عصور الإسلام المزدهرة قد كشف إمكانات هائلة لهذا الامتزاج والتداخل والتكامل والتواصل بين القيم الحضارية والإنسانية المشتركة، وعن إمكانات العقل المسلم وقدراته في الإبداع العلمي في مختلف الحقول والمجالات. لكن الناظر إلى العصور المتأخرة، يلحظ أن ثمة ضموراً كبيراً في هذا المجال، ونكوصاً وتراجعاً خطيراً عن عطاءات النموذج الأول. ولا خلاف في أن مرجع ذلك ليس إلى الأصول نفسها وإنما إلى طبيعة الفكر والنظر التي طرأت عليها وسائط وحالت دون استمدادها القوي حوائل متعددة، فلم تعد قدرتها على العطاء كما كانت.

الختام

إن قضايا وتحديات العالم المعاصر يوجد علاجها في كليات رسائل النور، منها العمل الايجابي البنّاء، وتحرى روابط الوحدة، واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، والعلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي، والحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وتجنب الباطل، وترك غرور النفس وحظوظها، وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة، وترك دواعي الحسد والمنافسة والاحاسيس النفسانية التافهة. ومن رسائل النور تبينت المقومات التي اشترطها بديع الزمان سعيد النورسي لبناء المجتمع الإسلامي لحصول الرقي والتقدم بنشر العدالة والأمن والتكافل الاجتماعي والنظام في ربوع البلاد والعلم.

---

(١) سيرة ذاتية، ص ٤٧٣.

المراجع

بديع الزمان سعيد النورسي، **سيرة ذاتية**.

بديع الزمان سعيد النورسي، **المكتوبات**، المكتوب السادس عشر.

بديع الزمان سعيد النورسي، **اللمعات**، الجزء الثالث من رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: منشورات سوزلر، ١٩٩٣.

بديع الزمان سعيد النورسي، **الشعاعات**، الشعاع الرابع عشر.

بديع الزمان سعيد النورسي، **الملاحق**، ملحق أميرداغ/٢.

بديع الزمان سعيد النورسي، **الخطبة الشامية**.

شكران واحدة، "مؤلفات النورسي نموذج لتقديم الإسلام للغرب".

Thomas Michel S.J., Said Nursi's Views on Muslim-Christian Understanding, Istanbul: Soz .Basim Yanin, 2005

http://www.iikv.org/ar/kulliyat/kulliyat.php?bn=11&pn=469